نظرية الأنساق العامة وتطبيقاتها في العملية التعليمية

قراءة نظرية لأهمية تطبيق نظرية الأنساق العامة في العملية التعليمية

General pattern theory and its applications in the educational process

A theoretical reading of the importance of applying general pattern theory in the educational process

chahrazed Bouhedda [1] ط.د. شهرزاد بوهدة

مخبر وسائل الإعلام، الاستخدامات الإجتماعية والاتصال

المدرسة الوطنية للعليا للصحافة وعلوم الاعلام

Ecole Nationale Supérieure de Journalisme et des Sciences de l'Information.

تاريخ الإرسال:2020/11/08 تاريخ القبول: 2022/07/22

[1] المؤلف المرسل.

الملخص:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز الدور الفاعل لنظرية الأنساق العامة وأهميتها باعتبارها نظرية تُساهم بتفعيل العملية التعليمية، هذا ما حولنا إيضاحه في هذه الدراسة وذلك بتقديم مفهوم لنظرية الأنساق العامة،كما تطّرقنا لمفاهيم هذه النظرية وفرضياتها، وكيف يتم توظيفها في العملية التعلمية،ليتم في الأخير عرض تطبيق نظرية الأنساق في العملية التعليمية وكيف تساهم هذه النظرية بتحسين العلاقة بين الطالب والأستاذ داخل النسق التعليمي.

الكلمات المفتاحية: الأنساق العامة، العملية التعليمية،الأستاذ، الطالب.

Abstract:

We aim, through this study, to highlight the effective role of the general system theory and its importance theory that contributes activating the educational process Finally, presented the application of the theory of patterns in the educational process and how this theory contributes to activating it and improving the relationship between the student and the professor within the educational system.

key words: general systems theory ,educationalproces,professor,student

1. مقدّمة:

تعد عملية الاتصال أحد الدعائم الأساسية التي يتم من خلالها التفاعل الإنساني وبالتطور السريع أصبح للاتصال دور كبير شمل جميع ميادين الحياة وخاصة الجانب العلمي والبحثي ،حيث يؤكد المتخصصون في الحقل التربوي والتعليمي أنّ الفرد والجماعة داخل أي تنظيم يجب أن يتعايشوا في علاقة تكاملية واتصال ومن هنا فإنّ الفعل التربوي لا يحمل على الفرد أو الجماعة لكن بالتأكيد على كليهما ، ومن هذا المنطلق فقد أصبح مؤكدا أنّ الانسجام والاندماج داخل الجماعة التربوية يجب أن يتم دون تأخر وأنّ العمل في تعاون هو أكثر فاعلية من العمل الفردي داخل المجال العلمي والتربوي والذي يطلق عليه بالنسق التعليمي ، في هذا السياق تبرز إشكالية العلاقة بين الطالب والمعلم في الموقف التربوي التعليمي أو النسق كإحدى أبعاد قياس هذ الانسجام والتعاون الجماعي لصالح مؤسسة تعليمية تربوية قوية في بنائها الاجتماعي وفاعلة بأدائها التربوي،وفي هذا الصدد تعددت المداخل والنظريات التي ساهمت في تطوير الدراسات المتعلقة بالمقاربات البيداغوجية الحديثة ، ومن أبرز النظريات التي اهتمت بالنسق التعليمي نجد نظرية الأنساق العامة ونظرتها الشاملة للظاهرة بدراستها الكل الشامل للنسق التعليمي والأجزاء التي تكونه،والعلاقات والتفاعلات بينها،هذا ما حاولنا دراسته ،والذي سلطنا الضوء فيه على بعض العوامل البيداغوجية داخل النسق التعليمي وهي كفاءة الأستاذ والطالب و الوسائل التعليمية والى غير ذلك، ومن هذا المنطلق جاءت دراستنا لتسليط الضوء على تطبيق نظرية الأنساق العامة في العملية التعليمية من خلال النسق التعليمي المفتوح،وهذا ما يقودنا إلى طرح التساؤل التالي:**كيف تساهم نظرية الأنساق التعليمية في تفعيل العملية التعلمية وتطويرها؟**

2. الإطار النظري للدراسة :

1.2 التطور التاريخي لنظرية الأنساق العامة :

كانت بداية ظهور نظرية الأنساق العامة general systems theory على يد عالم الفيزياء النمساوي فون بيرتالانفي Von Bertalanffy عام 1920م وقد تبلورت في شكلها النهائي عام 1956م وقامت فكرتها على أساس أن الكل أكبر من مجموع الأجزاء المكونة له، وكانت تطبيقاتها في البداية على الأنساق الحية وعلى الإنسان وعلى كيفية تكامل وظائفه وتداخلها مع بعضها البعض واعتمادها على البيئة الخارجية[1]،واستطاعت نظرية الأنساق العامة أن تحظى بقبول واهتمام الكثير من المتخصصين في العلوم الأخرى وعلى

الرغم من أنها ولدت في أحضان العلوم الطبيعية على الأنساق غير الحية ومنها انتقلت للأنساق الحية حيث تم تطبيقها على الكائنات البيولوجية، إلا أنها أيضاً وصلت للعلوم الاجتماعية والإنسانية وأصبح ينظر لها على أنها أكثر من مجرد نظرية وأنها تمثل توجها نظرياً أو فكرياً في النظر للأنساق الحية وفي علاقتها بالبيئة، كانت هذه النظرية سائدة في علم الاجتماع في العقد الخامس و السادس من القرن العشرين،و قد اقترنت مع مجموعة من المنظرين الاجتماعيين ملتفين حول تالكوت بارسونز في جامعة هارفورد و معظم الطموحات الأولى لنظرية الأنساق جاءت من محاولة تأسيس بين الأنساق النفسية في العلوم الطبية و الأنساق الاجتماعية للعلوم الاجتماعية،وتضم عند بارسونز نظرية الفعل الاجتماعي الأسلوب الاجتماعي الذي يحصل في تفاعلات فردين في عمل بارسونز الأخر قدم نظرية عامة للأنساق الاجتماعية كحل للمشاكل القائمة بين النظرية الاجتماعية والسياسية،إذحاول بارسونز الربط بين هذه الانقسامات و جعلها كلا متكاملا، لكن وجهت عدة انتقادات في العقد الخامس من القرن العشرين و بداية العقد السادس منه للنظرية الوظيفية و نظرية الأنساق لصالح النظرية الصراعية كرؤية بديلة[2].

2.2 المفاهيم المرتبطة بنظرية الأنساق العامة :

تتضمن نظرية الأنساق العامة مجموعة من المفاهيم والعناصر وتتمثل في:

النسق System: يعرف النسق بأنه"مجموعة الوحدات والعلاقات المتبادلة بين هذه الوحدات". والنسق حسب تعريف هارتمان ولاريد Hartman & Larid هو وحدة تتكون من أجزاء أو وحدات متباينة ومتماسكة معاً، وكل وحدة معتمدة على الوحدات الأخرى .

الحدود Boundaries: تشير الحدود إلى مجموعة القواعد التي تشكل إطاراً أو سياجاً يحيط بمجموعة الأفراد أو الأنساق التي تتفاعل مع البعض وهذه الحدود وهمية ولكنها هي المحيط العام الذي يمكن تحديده لتوضيح العناصر الداخلة في النسق والخارجة عنها التي يتفاعل معها ،والنسق العام يضم كذلك أنساق فرعية وكل نسق من هذه الأنساق الفرعية لابد أن تكون له حدوده الواضحة والدقيقة التي تحدد مهامه وأنشطته. وكلما كانت الحدود واضحة كلما أدى ذلك إلى مزيد من التخصصية بين أجزاء النسق الواحد.

التوازن Equilibrium: تميل الأنساق بشكل عام إلى تحقيق مستوى من التوازن من خلال استيراد الطاقة وتصديرها، وفي حال حدث اختلال في توازنها فإنها تسعى بشكل تلقائي لاستعادة هذا التوازن للحفاظ على بقائها. أما في حال اختلال اتزانها فإن ذلك قد يكون من أسباب فناء النسق وانتهائه.

لذا فإن لدى الأنساق الحية ميلاً طبيعياً للحفاظ على توازنها واستعادته إذا تعرض لعوامل أخلت بتلك الخاصية. [3]

التغذية العكسية Feedback: يشير مفهوم التغذية العكسية إلى عملية التقويم التي تحدث للمخرجات والمدخلات التي يصدرها ويستوردها النسق أثناء عملية تفاعله مع البيئة الخارجية، أي أنها النتيجة التي تحدث نتيجة للتفاعل وتساعد على نمو النسق واستمرار تفاعله،وتشكل عملية التغذية العكسية نمطا من التقويم للنسق وهناك نوعان للتقويم، أحدهما داخلي، والذي يقوم به أفراد النسق للتحقق من مدى رضاهم عن كيفية التفاعل، وخارجي، من خلال استجابة ورضا الأنساق في البيئة الخارجية عن أداء النسق .

المدخلات Inputs: تشير المدخلات إلى كافة ما يأتي للنسق من البيئة الخارجية من معلومات وطاقة، كما تتضمن كافة المصادر resource التي تتجمع لدى النسق سواء كان ينتجها بنفسه أو يحصل عليها من الخارج، وهذه المصادر قد تكون مادية أو حتى معنوية .

يقصد بالمخرجات كل ما يصدر عن النسق من معلومات وطاقة إلى البيئة الخارجية، وتعكس المخرجات المدى الحقيقي والواقعي لقدرة النسق على تحقيق أهدافه. فكلما كانت مخرجاته تتفق مع أهدافه كان ذلك دليلاً واضحاً على توازنه.

الارتباط التفاعلي Interfance: يشير مفهوم التفاعل إلى تلك العملية التي تتفاعل من خلالها الأنساق المختلفة بشكل تبادلي، وبينها وبين البيئة بشكل عام، حيث إن عملية التفاعل المتبادل والمستمر تعد من أهم العمليات المطلوبة لاستمرارية النسق وتنمية قدرته على تحقيق أهدافه، وعملية التفاعل خاصية من خصائص الأنساق المفتوحة، بينما الأنساق المغلقة تواجه صعوبات في عملية التفاعل وغياب تلك العملية من أسباب انتهائها. [4]

3.2 فرضيات نظرية الأنساق العامة:

قامت نظرية الأنساق العامة على العديد من الفرضيات، وتتفاوت تلك الفرضيات في مدى قابليتها للاختبار، فبعضها تم اختباره تجريبياً وبعضها غير قابل للاختبار وكذلك في قدرتها على التنبؤ فالكثير من فرضيات الأنساق العامة لا يساعد على التنبؤ، ومن أهم الفرضيات التي قدمتها نظرية الأنساق العامة:

- تفترض بأن الأنساق الحية living systems وغير الحية non-living systems، يمكن النظر إليها والتعامل معها على أساس أنها أنساق لها مواصفاتها الخاصة والتي تستحق الدراسة والتمعن. ويرى قوردن هيرن (Gordon Hearn) أن طبيعة نظرية الأنساق العامة تشير إلى أنها تأخذ اتجاهين رئيسيين الاتجاه التحليلي والاتجاه الشامل. ويأخذ الاتجاه التحليلي طبيعة العمل مع نسق ما على مستوى معين ودراسته لإيجاد ما إذا كان له خصائص معينة تحكمه والتعرف على طبيعة العلاقات بين أجزاء ذلك النسق، ومن ثم الانتقال إلى نسق آخر على مستوى آخر للتعرف على إذا ما كان له نفس الخصائص والسمات لذا فإن حقيقة ما أو ظاهرة ما على مستوى معين قد تقود إلى تكوين فرضية أو مجموعة من الفرضيات.

تلك الفرضية التي ترى أنه يمكن "النظر للمادة في كل صورها الحية منها وغير الحية، كأنساق، وهي باعتبارها أنساقاً لها خصائص مميزة ومعينة جديرة بالدراسة فالفرد نسق والأسرة نسق والمجتمع المحلي نسق وهكذا وكل نسق من تلك الأنساق له صفاته وخصائصه المحددة"[5]

- كما أن نظرية الأنساق العامة تنظر نظرة ترابطية للعالم، فكل كيان ينظر له من خلال علاقته بالكيانات الأخرى التي يتأثر بها ويؤثر فيها .

- ومن فرضيات نظرية الأنساق تلك الفرضية التي ترى أن مجموع الكل أكبر من الأجزاء المكونة له وأن له خصائصه التي تميزه عن خصائص الأجزاء المكونة له، فالارتباط القائم بين الأجزاء يتولد عنه خصائص تختلف عن خصائص الأجزاء الأساسية والأسرة مثال على ذلك، فالأسرة كنسق تختلف خصائصها عن خصائص الأفراد المكونين لها وكذلك الفريق أو جماعة الأصدقاء تختلف عن الأفراد المكونين لهذه المجموعة لو تم تحليل كل فرد على أنه نسق قائم بذاته

- كما تفترض نظرية الأنساق أن أي تغيير يطرأ في أي جزء من أجزاء النسق يؤثر على بقية أجزاء النسق وعلى النسق ككل.

- ومن فرضيات نظرية الأنساق أنها ترى أن لكل نسق إطارا مرجعياً محدداً يحدد سلوك الأفراد داخل النسق.

- كما أن نظرية الأنساق تفترض أن هناك نسقين من الأنساق وهي الأنساق المفتوحة open system والأنساق المغلقة closed system وأن الأنساق المفتوحة هي التي يكون هناك تفاعل دائم بينها وبين البيئة المحيطة،وتتميز هذه الأنساق بالنمو المستمر وزيادة التخصصية داخل النسق وحتى تحافظ الأنساق المفتوحة على وجودها لابد أن يكون هناك توازن في علاقتها مع البيئة الخارجية وأن تحافظ على مستوى محدد من الحدود المفتوحة مع العالم الخارجي.

3. تطبيق نظرية الأنساق في العملية التعليمية:

1.3 مفهوم النسق التعليمي وخصائصه:

أولا نعرف **النسق System** هو ذلك الكل المتكامل المنظم والمركب الذي يربط بين عناصر وأجزاء ذات خصائص معينة. هذه العناصر والأجزاء تتداخل مع بعضها البعض في علاقات تبادلية مستمرة بالصورة التي لا يمكن بها عزل أحد هذه العناصر أو الأجزاء عن بعضها، مكونة في مجموعها ذلك النسق الذي يوجه بدوره ضمن مجموعة من العلاقات التبادلية مع مجموعة أخرى من الأنساق المتصلة به، والتي تكون مجتمعة ما يطلق عليه النسق لأشمل أو الأوسع، ومعنى ذلك أن النسق يتكون من أجزاء ذات علاقات أو ذات تعاملات فيما بينها، لذا فإن دراسة أي جزء من أجزاء النسق لا يمكن أن يتم بشكل مستقل عن الأجزاء الأخرى.[6]

في ضوء هذا التعريف للنسق فإن **النسق التعليمي** هو مجموعة مترابطة ومنظمة ومتكاملة من الطرق والوسائل والأدوات والأساليب التي تقوم جميعها من خلال علاقاتها التبادلية بالمهام اللازمة لتحقيق هدف أو أكثر من أهداف التعليم بكفاءة.

ويمكن تصنيف الأنساق التعليمية الشائعة في نسقين أساسيين هما: الأول هو النسق التعليمي المفتوح Open System ويتميز بالمرونة وقابلية التفاعل مع أنساق أخرى، وتقبل الجديد والتجديد، والتكيف مع الظروف المتغيرة.[7]

والثاني هو النسق المغلق Closed System، ويتسم بالجمود والعجز عن استيعاب التجديد والمعارف والأساليب الجديدة، والتكيف مع الظروف المتغيرة، وتشمل البيئة التعليمية إلى جانب النسق التعليمي نسقين آخرين هما: النسق الاجتماعي Social System والنسق الثقافي Cultural System.[8]

خصائص النسق التعليمي (المفتوح):

يتوقف نجاح النسق التعليمي القائم على الشراكة بين الطالب والمعلم على عدة خصائص يجب أن تتوافر له من أهمها:

– أن يكون النسق مرنا وقابلا للتنقيح والتعديل، وهي خاصية لابد من توافرها إذا ما أريد للنسق أن يكون منفتحاً Open وقابلاً لتطوير وتجديد مكونات وعملياته.

– أن يكون الطالب هو أحد الشركاء الأساسيين في عملية التعليم والتعلم.

– التركيز على عملية التعلم بدلاً من التعليم.

بعد التوجه إلى التعلم الذاتي وبعد أن أصبح التعليم ليس مقصوراً على آليات التدريس، وتحوله أكثر فأكثر إلى آليات التعلم، أصبح على المعلم أن يوجه طلابه نحو كيف يتعلمون ؟ لا أن يعلمهم، وأن يعمل مع طلابه لا أن يعمل لهم، وعليه فإن المعلم الذي كان يعتمد أساليب التلقين قد تغير دوره إلى نماذج جديدة يستطيع معها أن يقدم مهارات التعلم الذاتي للطالب على مهارات التلقين والتدريس.

إن توجيه هدف النظام التعليمي إلى تنمية القدرة على التعلم لدى الطالب والانتقال من صيغة التدريس (أي التلقي) إلى صيغة (التعلم)، تدفع بالطالب إلى شراكة حقيقية في عملية التعلم، وعلى المعلم أن يساعده وييسر له عملية البحث والاستكشاف الذاتي النشط (4) تهيئة مواقف تعلم تشاركية – تعاونية:

وترتكز هذه المواقف على مشاركة أكثر من طالب في أداء المهمة التعليمية، وعلى العمل الجماعي والتفاعل والتعاون بين الطلاب والمعلم وبين الطلاب وبعضهم، وتوزيع قاعدة المشاركة بينهم وتكوين "جماعات التعلم" كركيزة في عملية التعلم، وهي مجموعة من الطلاب يتقاسمون اهتماماً مشتركاً فيما بينهم بشأن موضوع معين،[9] أو تشكيل أساليبهم وأدواتهم في تكوين المعاني لبناء معارفهم، وتتخذ جماعات التعلم أشكالاً من المجموعات الصغيرة المترابطة والمتقاربة وذات المهام التعليمية المحددة، وهذه الجماعات يمكن أن تساعد في الانتقال من عملية "تفريد التعليم" في شكلها التقليدي إلى تحديث هذا التفريد، ولكن من خلال جماعات متقاربة القدرات، أي تفريده من خلال الجماعية والتشاركية ويعتبر التعلم التعاوني من أبرز النشاطات في هذا المجال، وهي إحدى تقنيات التدريس التي أثبتت البحوث والدراسات أثرها الإيجابي في تحصيل الطلاب.

2.3 الأسس والمبادئ التي يقوم عليها النسق التعليمي (المفتوح):

بغض النظر عن محتوى التعلم الذي يقدم للطالب فإنه يجب أن يتعلمه بنفسه ولنفسه مع المشاركة في تحمل مسئولية تعلمه، وإن عملية التعلم الفاعلة والمستمرة داخل الصف الدراسي تتجاوز حدود جلوس الطالب للاستماع لشرح المعلم أو توجيهاته، إلى المشاركة الإيجابية والفاعلة في نشاط التعلم.

– أن دور المعلم هو موجه ومرشد سفينة التعلم، ولكن الطاقة التي تدفعها ينبغي أن تصدر عن الطلاب.

– كفاءة المعلم في التدريس تنمو من خلال النجاح الحقيقي الذي يحققه مع الطلاب، وليس من خلال الدعم المعنوي أو التشجيع الذي يتلقاه من الموجه أو المدير أو الإدارة التعليمية.[10]

– المعلم الناجح هو الذي يوجد وقتاً أطول للتعلم، ويشرك أكبر عدد من الطلاب في عملية التعلم، ويساعدهم لتحقيق مزيد من الاعتماد على الذات.

– لا ينبغي أن تسود ثقافة الصف الدراسي المفاهيم البالية والتقاليد المعوقة التي تحد من نجاح الطلبة في التعلم.

– المعلم ليس المصدر الوحيد للمعرفة، فالطلاب يستطيعون أيضاً إنتاج المعرفة وتبادل الآراء حولها.

– إطلاق حرية الفكر والتعبير للطالب عامل أساسي في تحقيق تعلم أفضل.

– يستطيع الطالب أن يبدع ويكتشف إذا ما أتيحت له الفرصة لذلك.

– على المعلم أن يسلم بإيجابية الطالب وقدرته على التعلم والتفرد، وأن يهيئ له الفرص والمواقف لتحقيق ذلك.[11]

– الطالب هو المسؤول الأول عن عملية تعلمه.

– مشاركة الطالب للمعلم في اتخاذ القرارات الخاصة بعملية التعليم والتعلم ركيزة أساسية لمشاركته بنجاح في عملية التعلم.

– الارتكاز على التعلم الفعال: التعلم الفعال هو التعلم ذو المعنى الذي يقوم على الخبرة والممارسة ويستجيب لأنماط التفكير الخاصة بالطالب،ويكون قابلاً للاستخدام وانتقال أثره إلى حياة الطالب، ويؤدي به إلى التفكير الإبداعي، ويجعله محوراً للتعلم،كما يطور علاقات تعاونية بين الطلاب، ويشكل بحد ذاته معززاً ومثيراً للدافعية نحو التعلم، ويبعث في الطلاب شعوراً بالنجاح والإنجاز والارتياح .من جهة أخرى يتطلب التعلم الفعال فاعلية المعلم، والمعلم الفعال هو الذي يتميز بقدرته على القيام بالعمل المطلوب لتحقيق أهداف التعلم، وليس تمسكه بسلوك معين، ويحقق بانتظام أهدافاً تتعلق بشكل مباشر أو غير مباشر باكتساب المعارف والمهارات من قبل الطلاب .

– توظيف المستحدثات التكنولوجية في عملية التعليم والتعلم: إن توظيف المستحدثات التكنولوجية في عملية التعليم والتعلم أصبح مطلباً ملحاً له ما يبرره من شواهد وأساليب سواء من ناحية طبيعة العصر الذي نعيش فيه، أو من ناحية متطلبات تعليم المستقبل، فقد وضعت المستحدثات التكنولوجية بصمات واضحة على منظومة التعليم بوجه عام، كما يظهر أثرها الإيجابي عند الإفادة منها في إحداث تطوير حقيقي قائم على أسس منهجية في كافة جوانب العملية التعليمية، وإذا ما كان توظيفها من أجل التغلب على مشكلات تعليمية محددة.

ويمثل توظيف المستحدثات التكنولوجية عاملا مهماً لتدعيم الشراكة بين الطالب والمعلم، فطبيعة وخصائص هذه المستحدثات لن تسمح باستمرارية الدور التقليدي للطالب والمعلم في عملية التعليم والتعلم، بل إن كلمة مدرس Teacher أصبحت غير مناسبة للتعبير عن مهام المعلم الجديدة في ظل المستحدثات التكنولوجية، وظهرت في الأدبيات التربوية الحديثة كلمة مسهل أو ميسر Facilitator لوصف مهام المعلم على أساس أنه الذي يسهل عملية التعلم لطلابه، ويرشدهم ويوجههم ويتابع تقدمهم، كما تغير دور الطالب فلم يعد متلقيا سلبيا، حيث ألقيت على عاتقه مسئولية التعلم، وأن يكون نشطاً أثناء موقف التعلم ويبحث وينقب ويتعامل بنفسه مع المواد التعليمية القائمة على المستحدثات التكنولوجية.[12]

– التواصل المستمر بين الطالب والمعلم: يعتبر التواصل بين الطالب والمعلم شرطاً أساسياً وضرورياً لقيام شراكة ناجحة، فالمعلم الذي لا يستطيع أن يقيم علاقة قائمة على الود والاحترام بينه وبين طلابه لن ينجح في تحقيق أهدافه التعليمية بالصورة المطلوبة، كما أن المعنويات الإيجابية والرغبة في الموضوع المراد تعلمه له علاقة بقيام صلة من الود مع الطلاب، الأمر الذي يؤدي إلى نشوء علاقة بين المعلم والطلاب يكون لها دورها الإيجابي في إثراء تعلم الطلاب.

– إتاحة الفرصة للطلاب ليصنعوا خياراتهم ويقدموا مبادراتهم: إن العديد من أنشطة التعلم الجيدة تتطلب أن يصنع الطلاب الخيارات ويأخذوا المبادرة، فالطلاب يمكن أن ينشغلوا بعمق في عملية التعلم إذا ما أتيح لهم مجال واسع من الخيارات المتعلقة بتفاصيل النشاط، وتظهر أعلى مستويات "الانشغال الطلابي بالتعلم" عندما يأخذ الطلاب المبادرة في صياغة أسئلتهم الخاصة، وفي تصميم استقصاءاهم حول موضوع التعلم.

التوجيه الذاتي المسئول للطالب: يقوم هذا المفهوم على السماح للطلاب بقدر من الحرية بحيث يستطيعون التعامل مع هذه الحرية بمسئولية وإنما هي حرية من أجل التخطيط والمشاركة، وبقدر ما يشجع المعلم ممارسة التوجيه الذاتي المسئول للطلاب، ويسحب بالتدريج وبطريقة مناسبة الضبط الذي يفرضه عليهم، بقدر ما يسهم في نضجهم ويكون الضبط والنظام بهذا المعنى جزءاً متكاملاً من عملية التعلم .[13]

3.3 علاقة الطالب والمعلم في النسق التعليمي (المفتوح) ودورها في العملية التعليمية:

العلاقة والشراكة الناجحة بين الطالب والمعلم ليست هدفاً في حد ذاتها، ولكنها وسيلة من أجل " تعلم فعال " يعتمد على" معلم فعال" من جهة، وعلى "طالب فعال" من جهة أخرى، وفيما يلي نقدم دور كل منها:

أ– دور المعلم في النسق التعليمي (المفتوح) بالمقارنة مع دور المعلم في النسق التعليمي التقليدي:

نعرض فيما يلي وبإيجاز الدور المفترض أن يقوم به المعلم في النسق التعليمي القائم على الشراكة مع الطالب

دور الأستاذ في النسق التعليمي المفتوح:

– يشارك الأستاذ الطلاب في تحديد أهداف التعلم وإعادة تحديدها.

– يستخدم أساليب للتدريس ذات تحدٍ عقلي وفكري عالي للطالب.

– يعمل في سبيل الاتصال المفتوح بين الطالب والأستاذ وبين الطلاب أنفسهم.

– يُسند إلى الطلاب مهام وأنشطة ذات قيمة تعليمية ينمي في الطلاب اتجاها نقدياً وعدم الرضا والوثوق في أرائهم ومشاركتهم بفاعلية في عملية التعلم.

– يُشارك الطلاب تقويم الأداء وإعادة تحديد الأهداف.

– يشارك الطلاب في تحديد واستخدام المصادر المتاحة للحصول على المعرفة.

– يساعد الطالب على أن يتعلم وأن يكون باحثاً نشطاً عن المعلومات . وأن يحدد مصادرها المتاحة، ويفيد منها بفاعلية.

ب– دور الطالب في النسق التعليمي(المفتوح) :

يقوم الطالب في هذا النسق بدور إيجابي نشط في عملية التعلم من خلال ما يلي:

– يتفاعل بحيوية ونشاط مع مواقف التعلم داخل الصف.

– يتواصل ذهنياً مع المعلم.

– يتواصل ذهنياً مع زملائه.

- ينظم ويصنف الخبرات والمواد في مواقف التعلم.

- يشارك في تحديد الأهداف التعليمية وإعادة تحديدها.

- يشارك في تحديد الموضوعات والمشكلات المهمة المرتبطة بالتعلم.

4. معوقات وعراقيل نجاح العملية التفاعلية وفق النسق التعليمي داخل القسم:

أ – معوقات داخلية: عوائق داخلية ذات صبغة نفسية نابعة من ذات الأستاذ أو كامنة في نفس التلميذ وتتمثل في جملة العوامل النفسية كالخجل و الإضطراب والشعور بالحرج و الخوف و عدم الإحساس بالحرية والتلقائي،ومنها ما هو طبيعي في نفس التلميذ و منها ما يتسبب فيه المدرس بتصرفاته غير المدروسة،وعدم مراعاة قواعد بيداغوجيا الفوارق، ذلك أن مدرس المجموعة يجد أمامه خليطا من التلاميذ المختلفي الشخصيات والتكوين النفسي وإن قمعه للمغرور المتعالي أو تتفيهه لإجابة الثرثار لسوف تكون له أثاره على الخجول وضعيف الشخصية فتنقل فيهم روح الرغبة في المشاركة، فيكون ذلك أقوى موانع الاتصال بينهم و بين الأستاذ.

وهناك عوائق داخلية ذات صبغة ذهنية و تتمثل في جملة العوامل الذهنية مثل قصور التلميذ عن فك الترميز، ومثل إختلاف المرجعية وتباين المفاهيم بين المدرس والتلميذ، وعوائق داخلية ذات صبغة وجدانية و تتمثل في جملة المشاعر الجاذبة أو المنفرة في مقدمتها تأثير الأستاذ في نفوس تلاميذه بشخصيته وهيئته ودرجة حيوية مما يرغبهم في التواصل معه أو ينفرهم منه.

ب– معوقات خارجية تتمثل في :

– قصور في وسائل التبليغ لدى الأستاذ، ضعف وسائل الاستقبال لدى التلميذ وصعوبات تتعلق بمضمون الرسالة البيداغوجية أو شكلها و بنيتها وعوامل متولدة عن الوسط الثقافي و المستوى الحضاري.

– عوائق مصدرها الرسالة والصعوبات المتعلقة بمضمون الرسالة البيداغوجية أو بشكلها ومبناها هي أعقد الصعوبات و أكثرها تشعبا.[14]

– واستخدام عبارات فضفاضة ليست لها دلالات محددة، و يمكن أن يفهم بمفهوم مختلف تكون سببا في اختلاف المرجعية بين المرسل والمستقبل،والتعقيد والغموض، وهما يأتيان إما نتيجة للاكتفاء بالتلميح عن التصريح و إما نتيجة التطويل حيث يشتمل الرسالة البيداغوجية على فائض من الكلام أو من الرموز،لا تقضيه مضامين الرسالة البيداغوجية.

ج – معوقات منهجية تتمثل في :

صعوبات مصدرها الوسائل المنهجية المعتمدة في تحقيق الاتصال البيداغوجي في العملية التعلمية.

–عدم وضوح الأهداف و التصورات لتأثير المواد على التلميذ.

–ضعف النقل البيداغوجي و إخفاق الأستاذ في تحديد النوافذ الواجب فتحها في النص للوصول من خلالها إلى الأهداف الحيوية في الدرس.

–إخفاق الأستاذ في تحديد الكفايات الأساسية للدرس وضبط المعارف أو المهارات الواجب الاكتفاء بها في كل درس.

صعوبات و عوائق مصدرها الإجراءات المنهجية و يأتي في مقدمتها عدم فهم الأستاذ طبيعة التواصل البيداغوجي، و عدم وعيه بأن الاتصال لا يمكن أن يتم في إطار وحدة متماسكة تستمر عبر وحدة زمنية تستغرق كامل الحصة أو تستغرق وقتا طويلا منها و إنما يتحتم تجزئة الاتصال إلى وحدات صغيرة متنوعة في وسائلها، مختلفة في مضامينها تتخللها لحظات فراغ هي بمثابة محطات استراحة، و أن هذه الوحدات التواصلية تتوقف على مدى توقف المدرس في تفكيك المعاني والأفكار وتجزئة الأسئلة لضم ان التقدم في سير درسه وفق خطوات منهجية واضحة، يفضي بعضها إلى بعض و تفضي في جملتها إلى تحقيق الهدف العام المراد من الدرس[15].

د– المعوقات المتعلقة بالتلميذ:هناك جملة من العوائق يكون مصدرها الأستاذ نفسه وإن كانت تختلف في نسبة حضورها و درجة تأثيرها من أستاذ إلى آخر تبعا لاختلاف السن و الجنس و المزاج الشخصي و الخبرة الشخصية لدى كل أستاذ أو أستاذة وتبعا لنوعية التصورات التي يحملها كل منهم عن نفسه أو عن طلبته،و يمكن تقسيم هذه العوائق إلى ثلاثة فئات:

– فئة متعلقة بأدوات التبليغ : وجود خلل في النطق مثل الفأفأة، و التأتأة و سرعة نسق الكلام، نوع من الضجيج يحد من قدرة أذهان المتلقين عن الاستيعاب ويمنعهم من الاتصال مع بعضهم ومع أساتذتهم، وعجز الأستاذ أو تقصيره في استعمال العلامات غير اللغوية كالإشارات والمشخصات، والملامح المعبرة و الحركات وأوضاع الجسم، و الحركة في المجال البيداغوجي.

– الصورة التي يحملها المدرس عن تلاميذه : كلهم أو بعضهم مما يقضي به إلى البعض والإقبال عليهم، والنفور من البعض و اهمالهم، أو يحمله على التبسيط المفرط أوعلى الصعوبة المفرطة التي تجعله يطلب من تلاميذه ما يتجاوز امكانياتهم الذهنية و هو ما يكون عادة نتيجة حداثة عهد الأستاذ بمهنة التدريس.

– المزاج الشخصي للأستاذ: فقد يكون حاد الطبع سريع الثورة و الغضب متسرعا في ردود فعله، مما يحمله التلاميذ على الانكماش إذ يفقدون الشعور بالأمن ويحرمون الإحساس بالحرية و التلقائية.

–خلل التلقي :خلل سمعي، خلل بصري.

–خلل التعبير عن الاستجابة : خلل في نطق و القدرة على الكلام، قصور عضوي أو عجز مهاري يحد من قدرة المتلقي على التعبير عن استجابته بإنجاز العمل المطلوب أو القيام بالحركة المعبرة.

–عوائق نفسية تمنع المتلقي من الاندماج في النشاط التواصلي وتحد من رغبته في المشاركة و يأتي في مقدمتها شعور بالخجل أو بالخوف من العقاب أو من السخرية والتتفيه، عدم الإحساس بالحرية و التلقائية.

–عوائق ذهنية وهي من الصعوبات ذات الخطورة البالغة على تأمين مسار التواصل و ضمان استمراره وأدائه وظائفه منها ضعف الحافز على التعلم أو فقدانه وعدم تناسب الموضوع و القضايا المطروحة على الطلبة مع مستواهم الذهني سواء كانت فوق مستواهم بما تمثله من صعوبة بالغة [16]، أو كانت دون مستواهم بما فيها من سهولة بالغة، والمكتسبات ما قبل مدرسية و ما يملكه التلاميذ من معلومات ومواقف وأحكام وقيم تتعلق بمسائل الدرس، و كانوا قد استقروا من محيطهم العائلي والاجتماعي، هذا بالإضافة إلى عوائق المحيط و هو ما يكون مصدره نظام التسيير أو المحيط القريب الذي يكتنف المؤسسة التربوية، أو المحيط الحضاري و الثقافي العام.

5. الخاتمة:

بناء على ما تقدّم حول نظرية الأنساق العامة وتطبيقاتها في العملية التعليمية، بأنها نظرية فعلا فصلت في النسق التعليمي المفتوح ،ذلك النسق الذي يتطلب رؤية علمية تحمل كل الأبعاد وفي مقدمتها البعد الإنساني والتفاعلي والتحاوري والإبداعي في عملية الاتصال البيداغوجي التي تعد كونها عملية معقدة تندرج كلها ضمن نسق تعليمي أساسه طرفان فاعلان ألا وهما الأستاذ و الطالب، وتتدخل في نجاح هذه العملية داخل النسق التعليمي عدة عوامل تكمل إحدها الأخرى وهذه العوامل التي تؤثر في عملية الاتصال داخل النسق التعليمي المفتوح كثيرة و متعددة منها ما سلطنا الضوء عليها ومنها ما لم نسلط الضوء عليها، كما نؤكد أخيرا على أهمية وضرورة التركيز لتحسين أداء الأستاذ والطالب

داخل النسق التعليمي باعتبارهما محورا وأساسا لهذا النسق وهذا كله تفاديا للصعوبات وتقليص العوائق التي تقف أمام نجاح العملية الاتصالية البيداغوجية واستمرارها.

5. الهوامش:

1- حسين حسن سليمان،**الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية الفرد والأسرة**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،2004بيروت، ص45.

2- المرجع نفسه،ص 50.

3 - ماجدة متولي، **ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الأفراد والعائلات**،الشركة العربية المتحدة،القاهرة،2009، ص، 55.

4- المرجع نفسه،ص 62.

5- المرجع نفسه،ص 66.

6- إبراهيم مجدي عزيز،**موسوعة التدريس**، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،2004، ص

7- الروبي أحمد عمر، **إطار نظري مقترح لبناء النسق التعليمي يقوم على الشراكة بين الطالب والمعلم داخل الصف الدراسي**،مجلة رسالة الخليج 51-33،(97)1

8- المرجع نفسه، ص 75.

9 - البيلاوي حسن ،**رؤية مستقبلية للبيئة المدرسية في القرن الجديد بالتعليم الأساسي في الوطن العربي**، آفاق جديدة، بيروت،2002 ،ص 231 .

10- الروبي أحمد عمر، **إطار نظري مقترح لبناء النسق التعليمي يقوم على الشراكة بين الطالب والمعلم داخل الصف الدراسي**،**مجلة رسالة الخليج** ،1(97)،ص 97.

11- المرجع نفسه،ص 176.

12 - المرجع نفسه،ص 204.

13- المرجع نفسه،ص 250.

14- وهيبة لكحل،**الاتصال البيداغوجي أستاذ وطالب**(محاولة لدراسة بعض العوامل البيداغوجية والنفسو اجتماعية)،رسالة ماجستر غير منشورة،كلية الأداب والعلوم الإنسانية ،قسم علم النفس التربوي، جامعة عنابة ، 2012، ص 121.

15- المرجع نفسه، ص 123.

16- المرجع نفسه، ص 125.